ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr. Qasim Najm Abd
University: Maysan University
College: College of Basic Education
Email:

Keywords:
identification, reality, imaginary, novel, blood, Hussein

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	22 Nov 2022
Accepted	21 Dec 2022
Available online	1 Jan 2023

Identity between reality and imagination in the historical novel The Blood of Hussein by Ibrahim Issa

A B S T R U C T

The relationship between reality and the imagined in the novel is not a superficial and naive relationship that the reader can easily and easily clarify its meaning and depth. Because the two are overlapping together, and the flow of movement between their different worlds without the reader perceiving that gap between them. Perhaps one of the most important tasks of the study is to memorize the writer's style of expression and nod to the functions and indications that the imagined treasures, which the reality may not be able to express! The study shows the method taken by the novelist in the approach between the two dimensions (real and imagined) in the novel, or between the objective and subjective, and the path that the novelist took to combine them in one narrative board.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

التماهي بين الواقع والمتخيل
في رواية دم الحسين التاريخية لإبراهيم عيسى

م.د قاسم نجم عبد القريشي / جامعة ميسان / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

الخلاصة:

إنّ العلاقة ما بين الواقع والمتخيل في الرواية ليست علاقة سطحية ساذجة يتسنى للقارئ استجلاء كنهها وغورها بيسر وسهولة ؛ لفرط تشابكهما معا ، وانسيابية التنقل بين عوالمهما المختلفة من دون أن يستشعر القارئ تلك الهوة بينهما ، ولعل من أبرز مهام الدراسة استظهار أسلوب الكاتب في التعبير والإيماء إلى ما يكتنز به المتخيل من وظائف ودلالات ربما عجز الواقع عن الإفصاح عنها ! وتستظهر الدراسة الأسلوب الذي سلكه الروائي في المقاربة بين البعدين (الواقعي والمتخيل) في الرواية ، أو ما بين الموضوعي والذاتي ، والسبيل الذي سلكه الروائي في الجمع بينهما في لوحة سردية واحدة .

كلمات مفتاحية : التماهي ، الواقع ، المتخيل ، رواية ، دم ، الحسين .

المقدمة ...

من نافلة القول إنّ المنجز الأدبي لا يتأتى من فراغ ، فلابد من مرجعية يغترف منها موضوعه ومادته ، إليها يستند ، وعليها يتكئ ، ويعد الواقع واحدا من تلك المرجعيات الأثيرة لدى الكتاب عامة وصناعة الرواية خاصة ، فما الواقع في منظور النقد الأدبي ؟.

يشير لؤلؤة في موسوعته إلى أنّ الواقع يمثل " كلمة الحقيقة التي تجعل الجميع متفقين" (لؤلؤة ، 1983 : 53) ، وعرفها بعضهم بقوله " بأنّه معطى حقيقي وموضوع حضوري يمكن أن يدرك بالحس ، وتلمس آثاره بالملاحظة العينية " (خمري ، 2002).

ويرى عبد العاطي شلبي أنّ الواقع هو ما يصوره الأدب الذي يصف حياة الفرد والجماعة مسجلا الوقائع بغاية الأمانة على خلاف الرومانسية ؛ فيصبح الشعب وما يعانيه أو الأفراد وما يعانونه مصدر الهام الأديب (شلبي ، 2005 ، ص 48).

أما التخيل ، فهو أقرب ما يكون إلى عملية التأليف بين الصور وإعادة تشكيلها ، وقد أشير به إلى بعض الظواهر النفسية التي يمكن تسميتها بسيكولوجية الإدراك (حفصة ، 2015، 19) ، ومن ثم فالخيال بوصفه اسمًا هو المكون الأهم في الرواية وهو السبيل الذي يسلكه الكاتب لخلق جو مفعم بالمألوف وغيره ، إذ يعمد إلى ابتكار إطار عام تجري فيه الأحداث ، ويبتدع أماكن تدور فيها الشخصيات وزمن يتلاعب فيه بتسلسله الطبيعي ويتلاعب فيه بعامل الزمن ، والتخييل هو أن تصور صورا وأفكارا تنسجها مخيلة المبدع (حفصة ، 2015 : 19).

ومن ثم فالرواية التاريخية بطبيعتها تستقي مادتها الخام من الواقع لتحوله إلى متخيل يثري شغف المتلقي ، فالمتخيل مستودع لتخزين الصور الخيالية ، لتصبح العلاقة بين الواقع والمتخيل كعلاقة الدال بالمدلول ، فالدال يمثل الواقع ، في حين أن المتخيل هو المدلول ، أي الصورة الذهنية ، ولهذا يصعب الفصل بينهما لأنّهما وجهان لعملة واحدة . (سارة ، 2016 : 21) ، ومن ثم فالمتخيل لابد من أن يضمر في ثناياه عدة وظائف ودلالات ، والدراسة تهدف إلى الوقوف على بعض تلك الايحاءات والتجليات في الرواية التاريخية التي وظفت الرمز الحسيني واستدعته .

وقد افصحت رواية دم الحسين التاريخية للكاتب إبراهيم عيسى عن رؤية سردية مسكونة بالتماهي ما بين الواقعي والمتخيل تعيد رسم واقعة كربلاء على وفق رؤية الكاتب الفكرية ، وإبلاغها للمتلقي على وفق رؤى سردية تقوم على المباحث الآتية :

المبحث الأول - تماهي الماضي والحاضر :

رواية (دم الحسين) واحدة من الروايات التاريخية ، تنهض بنية الحدث فيها على نمط من التناوب ما بين العناصر الواقعية ، وتلك المستمدة من عوالم التخييل على وفق منظور كاتبها ؛ ليجعل منها وحدة واحدة بهدف تقديم رواية تجمع ما بين ماضي الواقعة ، وتداعياتها في الزمان والمكان ، وتعرية الواقع المعاصر بأسلوب فكري وجمالي ، معتمدا على ايحاءات البعد الرمزي ؛ وقد تجلى ذلك في تقسيم الرواية على فصلين ، قدّم لهما الكاتب بمقدمة ، واعقبهما بمقابلة تاريخية مع الحسين بن علي (عليهما السلام) ، وإذا كانت المقدمة تهدف إلى تقديم انطباع الكاتب ومشاعره ، ورؤيته وهو يشرع في كتابة روايته ؛ فإن خاتمة الرواية أو (اللقاء الصحفي مع الحسين بن علي) (عليهما السلام) ، يهدف إلى تعميق الاتجاهات المتعددة التي تضمنهما الفصلين الأول والثاني ، والتوكيد على حقيقة تماهي الماضي والحاضر ، عبر تماهي الواقع والمتخيل في ثنايا الرواية.

يستهل الكاتب روايته بمقدمة جاء فيها " فجأة حضر التاريخ كله في حجرة مكتبي ، وجدت السيوف اللامعة ، والدم المراق ، ودفقات الجثث ، وصراخ الثكلى ، والأحصنة اللاهثة ، والحر القائظ ، وألسنة النار ، وألوان الخيانة ، وعتمة الغدر ، ودهاليز السياسة ... وأندفع الدم ساخنا وسخيا على أقلامي وأوراقي وكتبي ... حتى ظننت أنها النهاية . ثم إنّني رأيت الحسين".(عيسى ، 2013 : 7-8).

ويضيف قائلا " التاريخ معلم عظيم ... ليس – إذن – من قبيل المصادفة أن يكون المفسر العلّامة ابن كثير صاحب أهم التفاسير الشارحة للقرآن الكريم ، هو نفسه صاحب المجلد الضخم البداية والنهاية أهم مراجع التاريخ الإسلامي كافة . وليست مصادفة – كذلك – أن يكون (تاريخ الرسل والملوك) للإمام الطبري واقفا على قدم المساواة مع عطاء الطبري الفكري والديني والتفسيري . وإنهما – وغيرهما – عرفا معنى التاريخ ، وأنه الساحة المفتوحة لاختبار واختيار الدين والدنيا . التاريخ قصصا وحكايات وسيّرا –مدرسة حقيقية لكل تلاميذ الحقيقة . والغريب أنّ أحدا من الذين يتشدقون ويفتون ويرمون الناس بالفتاوى لم يعط نصف وقته – أو ربعه – لقراءة التاريخ وفهمه ، وليعلم يقينا أنّ السياسة غير الدين ، وأنّ الدين ليس مطية الساسة ، وأنّ أناسا رفعوا المصاحف والسيوف – والبنادق – بعضهم أمام بعض ، مع أنهم لا يختلفون كثيرا – ولا أبدا – في شروح الآيات وفقه السنة ، وإنما استخدم كل طرف الآيات والأحاديث لهثا وراء الحكم والنفوذ والمال ... وقطع الرقاب".(عيسى ، 2013 : 7-8)

وما أن يفرغ الكاتب من استهلاله حتى يشرع بتحديد الإطار الزمني لروايته وأحداثها بقوله : " دم الحسين تدور الأحداث بين عامي 60 و 67 هجريًا ". (عيسى ، 2013 : 11) ، ومن ثم يشرع الروائي

بتقسيم روايته على أجزاء ليسمي الجزء الأول منها : الخيل فوق صدر الحسين !. ليكون العنوان الأول من موضوعات هذا الجزء (أنت ياحرُ حرٌ) إذ يسرد فيه موقف الحر بن يزيد الرياحي من الحسين (عليه السلام) يوم العاشر من المحرم ، واستشهاده في ذلك اليوم بعد أن جعجع بالسبط الشهيد وكان في معسكر ابن زياد !.

والملاحظ في الرواية أنّ الكاتب فيها اعتمد على نسق التداخل في هذا الجزء إذ عمد على تقديمه على ما سواه من فصول ، وكان موضعه الطبيعي في غير هذا الموضع من الرواية ، وفيما عدى ذلك فإنّ سائر فصول الرواية تقوم على نسق التتابع ، ويبدو للباحث أنّ الكاتب إنّما عمد إلى هذا الأسلوب ؛ لأنه كان مسكونا بهاجس الحرية أو التحرر من ربقة الظالمين ، وبهاجس المقاومة ، مقاومة الطغاة والفاسدين ، واي يزيد قد تأتي به الأيام !

لقد كانت فلسفة الكاتب بهذا الصنيع تكمن في الإشارة إلى غاية الأشياء وخواتيمها ، وفلسفة قيامها ، والتركيز على مبدأ العاقبة الحميدة ، والخاتمة المرجوة ، واتخاذها حجة يحتج بها على المقاومين .

إنّ عتبة العنوان الفرعي في هذا الجزء تفضي إلى دلالات رمزية انتقلت بالرواية من بعدها التاريخي الخاص إلى بعد عام ؛ ليصبح الموقف قيمة إنسانية عليا ؛ ولذا وسم الروائي هذه الفقرة بـ(أنت ياحر حر) ، وما أن يفرغ الروائي من هذه الفقرة ، حتى يشرع بباقي فقرات الجزء الأول على وفق نسق التتابع من دون انقطاع أو استباق أو استرجاع .

فبعد أن سرد لنا الروائي قصة الحر بن يزيد الرياحي تحت عنوان (أنت ياحر حر) انتقل إلى سر قصة سيدة الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) وهو لما يزل في مدينة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومحاولات يزيد لأخذ البيعة منه (عليه السلام) ، ليستمر الكاتب في موضوعات الجزء الأول من روايته وهي كالآتي :

أقبِل ... وتحت هذا العنوان يسرد الكاتب كتب ورسائل أهل الكوفة وهي تحث الإمام الحسين (عليه السلام) على المجيء.

القلوب والسيوف ... وتحت هذا العنوان يستوضح الروائي موقف أهل المدينة من خروج الحسين (عليه السلام) نحو العراق ، وموقف أهل الكوفة من قدومه إليهم ، ويتجلى ذلك بقول الفرزدق " قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ...".(عيسى ، 2013 : 30)

كذبونا وغرونا .. وخذولنا وقتلونا ! وتتجلى مأساة ابن عقيل (عليه السلام) وغدر أهل الكوفة به ، وتخليهم عنه ، وانضمامهم إلى صفوف ابن زياد ، أو الجلوس على دكة الحياد ! والفتك بابن عقيل (عليه السلام) واستشهاده فيها ...

لا ... وتحت هذا العنوان يستظهر الروائي عظمة الحسين (عليه السلام) واصراره على ملاقاة الحتوف ، والثبات على المبدأ والقضية على الرغم من قلة الناصر ، وزخم الاغراءات الدنيوية وزخرفها .

اقتلوه ! وتحت هذا العنوان يسرد الروائي تفاصيل الإرهاصات الأولى للواقعة والكتب التي كانت تحث على قتل الحسين (عليه السلام) ، وفي هذا الفصل يفند الكاتب تلك الأخبار التي تزعم أن الحسين (عليه السلام) عرض على القوم خياراته المتعددة للنجاة بنفسه !.

لا بقاء لنا بعدك !. وفي هذا الفصل يروي الكاتب البدايات الاولى للواقعة ولقاء الحسين (عليه السلام) بعياله واهل بيته ورفاق دربه من الاصحاب ، ويستعرض فيه الكاتب دعوة الحسين أهل بيته واصحابه للمغادرة وتركه ، وردهم عليه بمضمون قول آل عقيل " قبح الله العيش بعدك". (عيسى ، 2013 ، 59)

أوصيك بهذا !. وتحت هذا العنوان يصف الروائي تفاصيل الواقعة الأليمة منذ إشراقة صباح يوم العاشر من المحرم ، وحتى اللحظات الأخيرة من حياة السبط العظيم (عليه السلام) والخيل تطأ صدره وظهره " خيل زمن يزيد ودولة ابن زياد فوق صدر وحلم الحسين " (عيسى ، 2013 : 70) !... وبهذه العبارة تكون تفاصيل الجزء الأول قد انتهت وتصرمت . ليشرع من بعدها الكاتب بتفاصيل الجزء الثاني من روايته الموسوم بـ(بحر الدم) ، وفيه يحشّد الكاتب جملة من العنوانات الفرعية ، الشمس والقضبان ، لأقتلنهم ، يزيد والقردة ، يا منصور أمت ، الثعابين ، الحصار ، أين الحسين ، ولا سواء ، أرسلوه إلى المختار ، دائرة الانتقام ، نهاية .

ومن ثم ؛ فرواية (دم الحسين) رواية تاريخية بالمعنى الحرفي للرواية إلا أن ما يميزها (استنطاق التاريخ) فالكاتب فيها لا يكتفي بإيراد النصوص التاريخية على علاتها ، وإنما يعمد إلى إضاءة عتمة تلك النصوص ، وتسليط الضوء عليها ؛ كما فعل الكاتب في تفنيده لتلك التقولات على لسان الحسين (عليه السلام) : " والغريب أنّ روايات تاريخية ظهرت على سطح المراجع والأمهات الكبرى في كتب التاريخ تزعم أنّ الحسين قد عرض على جيش عمر بن سعد أحد ثلاث خيارات يرى فيها عمر امرًا لينفذه الحسين من دون قتال أو إراقة دماء " (عيسى ، 2013 : 33) ، فتراه يجيب عن تلك المزاعم بقوله : " فور ما يموت البطل – الرمز – فإنه سرعان ما تخرج أحاديث الأفك لتنسب إليه تنازلات وسقطات تشوّه من الصورة النقية ،

وتضعف من قوة الإيمان ، وتشكك في المواقف القاطعة ، لمجرد أن تشوش الفكرة لدى الناس وتذهب بهم مأخذ الرد والإيجاب والنفي والجدل. والمنطق يرفض الروايات التي زعمت عرض الحسين على أعدائه خصالا ثلاثا جملة وتفصيلا ..." (عيسى ،2013 : 54).

استعمل الكاتب تقنية ضمير المتكلم السارد للحوادث بأسلوب الحاضر، وهو يسعى بذلك الى تعميق الاحساس لدى المتلقي بالتواصل القائم ما بين الحوادث التاريخية في الرواية وما هو قائم على ارض الواقع ؛ فتجده يتنقل بين عوالم مختلفة ما بين الماضي والحاضر ، ومن ثم فهو يختار من الأحداث التي تتواءم وتجربته الخاصة فيصل بها إلى " صورة رامزة للواقع المستفز بهموم القضايا السياسية " (عيد ، 1985 : 127).

جهد الروائي أن يصنع من عالمه الروائي مرآة للواقع ، وأن يكون الواقع صدى لعالم الرواية ، وإلا فكيف يتسنى لنا أن نعي أنّ الحسين (عليه السلام) قتل مرتين ، مرة بالسيف : " يقترب ، ويرفع سيفه بقبضته إلى الهواء ، وبالذراع إلى الفضاء . يتردد ، يتوجس ، يتريث ويتفكر ، ويقرر، فيمرر السيف إلى الجسد ، إلى الرأس ، فيقطعه ، وينزعه ، ويرفعه ، ويحمله إلى شمر بن ذي الجوشن ، فيأخذه ، ويلكز فرسه ، ويعدو إلى الصحراء ". (عيسى ، 2013 : 14) . وأخرى بالرصاص : " اقترب العسكر بالأسلحة والمدافع والبنادق والمدافع والبنادق وخوذات الجنود وثياب العسكرية والأحذية الثقيلة ، والصفوف المنظمة والطلقات المنتظمة ... اطلقوا الرصاص ، تخرق انفجاراته من فوهات البنادق الأذن والقلب وأكباد الرجال ، انغرس في جسد الحسين ، وانبثق الدم من جسده مندفعا غزيرا طاهرا . ترنح وجثا على ركبتيه ، ورقد بجسده المغربل بالرصاص ، الغارق في الدماء ، ومات ". (عيسى ، 2013 : 148) .

ومن ثم ؛ فالواقع يفرض نفسه في النص لا بوصفه قناعا ، فهو يظهر بصورة مباشرة تجعل المتلقي لا يكاد يفرق بين الواقعي والمتخيل ، أو انسيابية الانتقال من الواقعي للمتخيل ، أو من المتخيل للواقعي ؛ فيصبح العالم الروائي حينها مرجعا للواقع ، والواقع دالا على العالم المتخيل ، وإليه يرشد !.

ولعل من أبز تجليات ذلك الانتقال بين العوالم المتعددة تلك المقابلة التاريخية مع الإمام الحسين (عليه السلام) ؛ ففي نهاية الجزء الثاني من روايته يستدعي الروائي ابراهيم عيسى من أعماق التاريخ شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) إلى واقع الروائي ؛ ليعيش معه تفاصيل الواقعة الأليمة ، ومثل هذا الاستدعاء ليس بدعا لدى الكاتب ؛ فقد جرت سير الكتاب والروائيين على استدعاء الشخصيات التاريخية من مظانها إلى الواقع المعيش ، وعادة ما تنماز تلك الشخصية المستدعاة برمزيتها ، وثقلها التاريخي ، وتختلف مذاهب الروائيين في أسباب ذلك الاستدعاء ، ولعل من أهمها تبيان حالة السوء التي يعيشها المجتمع ، وكم الانحدار

الذي وصل إليه ؛ إذ عادة ما يلجأ الأدباء في استدعاءاتهم تلك إلى المقارنة بين ظرفين أو واقعين ، فضلا عن دواع وعلل أخر " لما يرتبط بها من أحداث مهمة ومواقف معهودة ، فقد أصبح استدعاؤها أمرا يثري المضمون [الروائي] ويكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة ". (أبو علي ، 1999 : 201 – 202).

يقول الكاتب واصفا اللقاء الأول بالإمام الحسين (عليه السلام) : " وعانقتني اليد وصافحتني ، وهمست الشفاه فأسمعتني صوته الدافئ ، العابر الفا وثلاثمائة وسبعا وستين من السنوات الهجرية ، واحدث في قلبي حدثه ... خرجنا من النفق ، كفه في كفي ، وأصابعه الكريمة في اصابعي ، وشفتاه اللتان قبلهما النبي تحدثاني لؤلؤًا منثورا ". (عيسى ، 2013 : 137).

إنّ استحضار شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) في الرواية عبر تقنية (الحلم) ينسجم مع (الثيمة) التي أراد الكاتب بلوغها ؛ بوصف الإمام الحسين (عليه السلام) رمزا بطوليا مقاوما ، ومثلا وقدوة يحتذى به ، وأنّ واقعة كربلاء تمثل المثابة التي تقرن إليها المواقف ؛ ومن ثم فإنّ استدعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في زمن الراوي ليتناسب مع مضمون الغاية التي من اجلها قامت الرواية .

إنّ استحضار شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) في بينة النص ؛ حيث (الصوت الدافيء) العابر عبر أثير الزمن الممتد أكثر من ألف عام ، وحيث (الشفتان) اللتان قبلهما النبي ، وما تسفران عنه من لؤلؤ منثور ، وحيث أصابعه الكريمة ؛ لم يكن هدفه التاريخ وحسب ، أو شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وحسب بما تتصف به من مزايا وخصائص وسمات ، وليس هدفه الواقعة التاريخية (عاشوراء) ؛ فليس من مهام الروائي أن يكون مؤرخا وحسب ، وإنّما عليه أن يسفر عن شهادة أخرى موازية لتلك الواقعة ، وذلك الحدث الكبير المتمثل بعاشوراء ؛ أن يصل الكاتب إلى ربط الماضي بالحاضر ، أن يقدم لمتلقية صورة عما يجري في واقعنا اليوم ، وكأنّ فحوى رسالته تقول : أنْ لا شيء تغير أو تبدل ، فها هي دماء الحسين تسفك في كل زمان ، وفي كل مكان على امتداد بلاد العالم الإسلامي ؛ ولذا تجد الروائي يتنقل بين عوالم الماضي وأحداثه والدماء المضطربة فيه ، ثم لا يلبث أن ينتقل بك مع الحسين (عليه السلام) إلى واقع الكاتب المعاصر الذي لا يبعد كثيرا عن واقع كربلاء إلا في المسميات ... فما أن يفرغ الكاتب من لحظات اللقاء الأولى مع الحسين (عليه السلام) حتى يشرع في إعادتنا إلى تاريخ الواقعة وتفاصيلها : " وصلنا الصحراء مفتوحة السماء ، منسية الحدود ، حطب وقصب ، وخشب ملقى خلف ربوة ، والنار مشتعلة ، والخيام منصوبة والأحصنة واقفة متأهبة متهيبة . تركتني أصابعه ، وأودعني مكاني حتى لا اقترب ، وسألني الانتظار ، فوجدته يقف في الأرض المجدبة ، وأمسك سيفه المشروع . وفجأة . ظهرت الخيول والسوف

والرماح والنبال والفرسان والرؤوس والأذرع والزحام على الرمال المقلوعة تحت الحوافر . وعرفته ... شمر بن ذي الجوشن قائد ميمنة جيش عمر بن سعد ، يمخر ، ويدخل ، ويحاصر بفرسانه ومشاته ورجالاته . ورأيته – والله رأيته – يصرخ بالفم والعروق والأسنان والنواجذ والرموش ، وجلده الأبرص : ماذا تنظرون بالرجل ؟ اقتلوه ! " . (عيسى ، 2013 : 137 – 138)

لم يكن الروائي ليولي شخصية الشمر بن ذي الجوشن عنايته ووصفه الدقيقة لها لإبراز مهارته في الوصف وقدرته على سبر غور الشخصية المستهدفة ؛ وإنما لبيان الموقف الدرامي ، والبنية الفنية للشخصية ، ولتفسير الحدث التاريخي وبيانه ؛ ولذا تراه يقسم – والله رأيته – وهو الذي يفصله عن زمن الشمر والواقعة ما يربو على الألف عام ؛ وكأنه بذلك يشير إلى شدة تشربه بالواقعة ، والغوص في تفاصيلها واعماقها ، وما جرى فيها .

لقد جهد الروائي في بعث الصورة الدامية لواقعة كربلاء ، وأنّ اللغة التي استعملها الكاتب فضلا عن بساطتها وسهولتها ، فقد تعددت مشاربها ؛ فكان سرده متنوعا بتنوع ثقافة الكاتب ، وطبيعة الموقف الذي هو فيه ، فعندما يصوغ عباراته باسم الحسين (عليه السلام) تبرز هنا اللغة التاريخية ، والتناص مع القرآن الكريم ، واللغة الايحائية ، وعندما يتحدث الكاتب بلسانه هو تبرز اللغة العامية الدارجة بما تكتنز به من عفوية وصدق ؛ لتعبر عن طبيعة الموقف والشعور الذي يعيشه الروائي : " سيدي وامامي ، هل لنا في قطرة راحة نبحث فيها عن قطرة ما ؟ دار بعينيه ورأسه إلى الصحراء ، تحاصرنا وتخبطنا وتعتقل فينا المحاولة . قال لي وقد افتّر عن ابتسامته الخلودية ، وقد مست اصابعه منكبي ، فاستوى واعتدل :

- إنك لن تستطيع معي صبرا .

وخزت الجملة ، فبكيت ، وانهمر دمعي المستعد ، وشجني المشرع ، فمسح بكفه الدمع المشقوق في الخد وتحت العين وفوق الشفة .

وعادت كلماته :

- إنك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا .

دنوت منه حتى صدره ، ووضعت رأسي على كتفه ، وانهمرت في دمع لا معدود ، وحزن لا مردود ، وجرح لا محدود .

ربَّت عليَّ وقال : يا ولدي ، بعد مئات السنين ، كشف الله لك صحرائي ، ورسم لك صورتي ، واعلمك بحالي ، وأراك قتالي ، فماذا تطلب بعد والطريق سد ، والحزن مد ؟.

- فأخذني بكاء شديد ، وغم مقيم ، وكرب مستقر ، وركبني الحزن ، واغرقني الدمع ، وانشطر قلبي ، وتهجد لساني ، وشعرت ضلالي ، ورأيت متاهتي .

- فالتفت إليَّ الحسين حانيا باسما :

- لا تخف ، لن اتركك وحدك ، وسآخذك حتى دارك ، هيا " . (عيسى ، 2013 : 141 – 142)

وفي موضع آخر عندما هم القوم بقطع رأس الحسين ، تبرز لغة الكاتب الحانية :

- يا حسين ... حاسب يا حسين !

- لا تقتلوه ! إنه ابن النبي لا كذب ! لا تقتلوه واتركوه لي ، لأجل خاطري وخاطر أمي !. (عيسى ، 2013 : 138) .

تشكل شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) ، وموقعة (كربلاء) تراجيديا البطولة على مر العصور الساعية إلى تحقيق التغيير الحضاري في المجتمع الإسلامي ... لكن مقابلة هذه الثورة بالقمع والتنكيل أدى إلى موت مأساوي لبطلها ، ومشعل وقودها (الحسين بن علي) ... [ويبدو أن الثورة الحسينية] كانت أكثر مثالية ونبلا من أن تتلاءم مع واقع ابتدأ الفساد يسري في أوصاله. (زايد ، 1978 : 121) .

ومن ثم فقد بات على الروائي استدعاء شخصية الإمام الحسين إلى حيث واقع الكاتب المعاصر ، فلما يزل الفساد والانحراف يسريان في واقع الأمة ، ولما يزل أئمة الضلال والجور يتحكمون في مقدراتها ، وليس سوى الحسين (عليه السلام) للتصدي لكل تلك المظالم . بوصفه الرمز الأكثر شأنا وسموا وعظمة وخلودا ؛ فبعد أن سقط الحسين مضرجا بدمه في واقعة كربلاء الأولى ، أخذ الراوي يصرخ ويستنجد وينادي برفيع صوته على الحسين ! ولكم كانت فرحته غامرة إذ يجد كف الحسين على كتفه حانية (عيسى ، 2013 : 138) ؛ ليغادر هو والحسين إلى صحراء أخرى غير صحراء الكوفة أو كربلاء على الرغم من كونها مدينة عامرة بالعمران والشوارع والطرقات ! مدينة لا يكاد لا يفصح عنها الروائي كثيرا ، ولعل في ذلك إشارة إلى رمزية الظلم القابعة في أرجاء متعددة من البلاد !.

يجد الحسين نفسه في مواجهة جيش آخر ، وحصار جديد ! لكنهم هذه المرة لا يحملون سيوفا أو رماح ، وإنما بنادق قنص ، ولا يمتطون افراسا بل سيارات جيب حديثة ، ومثلما برقت سيوف الأولين في وجه الحسين ، برقت بنادقهم واسلحتهم في وجه مرة أخرى.(عيسى ، 2013 : 145).

ومثلما حاول الروائي جاهدا في الواقعة الأولى من أن يحذر الحسين (عليه السلام) ولم يلفح ! حاول في هذه ايضا ولم يفلح !((حاولت أن اهتف للحسين ، فعجزت كأني في صحراء الكوفة ، صارخا من دون أن يسمعني ، باكيا من دون أن يراني ، أردت تحذيره ، وعجزت عن انذاره ، وهتفت لتوقيفه ، وخرست عن ابعاده. (عيسى ، 2013 : 145)

ثم يصل الروائي إلى ذروة التماهي عندما يتشرب دور الحسين (عليه السلام) ، وحبه ؛ إذ ينادي برفيع صوته : " أنا الحسين . أبحث عن عدل قتلتموه ، وبلد افنيتموه ، ووطنّ دمرتموه ، وشعب قصمتم ظهره ، وركبتم دبره ". (عيسى ، 2013 : 147)

يلاحظ أنّ الروائي لم يكتف باستدعاء شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وحسب بوصفه رمزا ممثلا للحرية ومقارعة الظالمين ، بل واستدعى في الوقت نفسه (يزيد) بوصفه ممثلا للظلم والاستعباد ، باسقاطه اليوم على حكام الجور وقد عبر عنه الكاتب بـ(الرئيس) : " هبط الرئيس من سيارته ، ببدلته السوداء وقميصه الأبيض ، ورباط عنقه المحكم ، تتسع ابتسامته المستفهمة ، خطا نحو الحسين ، وقد افسح جنده له مكانا .

القى الرئيس أمره :

- لا تقتربوا منه ، إنني أريده .

لكنه لمّا دنى ورأى ، ونظر في عينيه وقبضة يده ، شلت عيناه ، وعجزت قدماه ، وبهت رأسه ، واتسعت اسنان فمه عن ذعر ابدي .

صرخ فيه الحسين :

- بارز يا يزيد ، وأنه صراعا طال أمده ، وقتلا كثر دمه ! أرني قوتك من دون حرسك ، شجاعتك من دون فرسانك .

أبعد عمر بن سعد وابن ذي الجوشن ، واقترب وبارز ، ارفع سيفك وقاتل " . (عيسى ، 2013 : 147) .

ومثلما نادى ابن ذي الجوش من قبل : " ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه ! " (عيسى ، 2013 : 138) ، نادى شمر بن ذي جوشن العصر : " ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه ! ". (عيسى ، 2013 : 147).

ومثلما داست خيول بني أمية جسد الحسين (عليه السلام) يعمد الروائي إلى اسقاط هذه الصورة المؤلمة المتوحشة على واقعه المعاصر ، فلما يزل يُمثل بجسد الحسين ، ويدارس صدره وبدنه ، ولكن هذه المرة بأساليب عصرية على ما يمتلكه بنو أمية العصر " لكن المركبات العامة والسيارات الخاصة والعابرين والنفير المنطلق والأقدام المسرعة والدراجات اللاهثة ، والأحصنة تجر العربات الخشبية ، تمنع عني الحسين ، تدوس جسده ، وتدهس بدنه ".(عيسى ، 2013 : 149).

ومثلما أُستهزأ برأس الحسين من قبل ، ها هو الروائي يسقط صورة أولئك النفر الذي يسخرون على من يناظرهم في الزمن الراهن ، وموقفهم من الحسين (عليه السلام) واتباعه ، في كل زمان ومكان " فيضحكون ، ويسخرون ، ويهزأون ، ويرسمون بأصابعهم علامات ضياع عقلي وذهاب مخي ". (عيسى ، 2013 : 149).

ومن ثم ؛ فإن استدعاء إبراهيم عيسى لشخصية الحسين (عليه السلام) واللقاء به ، وسائر الشخصيات الأخر ؛ لم يكن الهدف منه التاريخ وحسب ، بل الحاضر والواقع والامتداد ، وكأنّ الروائي اراد ايصال فكرة مفادها : أنّ الحسين بن علي (عليهما السلام) بوصفه رمزا للحق والبطولة لما يزل يجوب الآفاق تتعدد صور وجوده في الأحرار والمقاومين ، وأنّ معسكر الشر هو الآخر لما يزل قائما ، وأن صراع الخير والشر لما يزل قائما حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

المبحث الثاني : التخييل وانبجاس الرمز :

استغرقت شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) كثيرا من النتاجات الإبداعية في أشكالها الأدبية المختلفة حتى يمكننا القول إنه لا توجد شخصية تاريخية تضاهي شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) من حيث الاستدعاء والتوظيف ، فقضية الحسين (عليه السلام) العالمية الهمت المبدعين على الاغتراف من معين الروح الحسينية والانتهال من فكرها ونهجها القويم .

لقد دأب الروائيون على توظيف الشخصيات التاريخية على وفق نمطين اثنين ، أحدهما يتمثل في التوظيف الكلي للشخصية ، والآخر في التوظيف الجزئي لها (الزيات ، 2012 : 84) ، إذ يعمد الروائي في

الضرب الأخير إلى عنصر من عناصر الشخصية بوصفها ذاتا ، أو إلى موقف من مواقفها ؛ ليعبر بها الأديب عن تجربته الخاصة ، ورؤيته من المواقف والأحداث المعاصرة .

إنّ أهمية مثل هذا التوظيف أو الدلالات الرمزية المصاحبة له تكمن في اضفاء مساحات قيمية للنص ، وانتشاله من ربقة الأطر التاريخية ، وأهواء الكتبة ، والسلطة الغشوم.

ويبدو أنّ الكاتب قد أدرك أن الأحداثّ العظيمة التي حدثت في كربلاء ، ليس للملكة السردية الواقعية على نقلها بما تضج به من محن ومآس ، وأن بلوغ شأو الحسين (عليه السلام) وإدراك عظمته وشأنيته ، لابد فيه من إعمال فاعلية التخييل وإيجاد صلة الوصل بين الواقع والتخييل بما يقارب الواقع وينبئ عنه ، ويبلغ مديات التعبير عما تكنه الذات الحسينية من كمالات وامتدادات زمكانية عبر التاريخ .

ولعل من أبرز اسهامات التخييل بصورة كبيرة امكانيته في انبجاس الرمز (افاية ، 1993: 9) بوصفه القوة التي تعمد إلى تفكيك الواقع واعادة انتاجه من جديد ، وهو على خلاف الوهم أو التوهم ، على حد وصف (كولردج) (لويس ، 1972 :17) ، الذي يضيف قائلا : إنه يفهم الخيال بوصفه القوة الحية والأداة الأولى لكل إدراك بشري، وفعل إدراك الرموز أو صناعة الرموز هو فعل ديني أساسا وهو اشتراك محدد في الفعل الإبداعي المطلق للصانع الأسمى للرمز والمدرك الاسمى له ، إنّ صنع الرمز أو إدراكه يقتضي اتحاد الذات مع الموضوع .(اليسوعي ، 1993 :23).

تضطرب رواية دم الحسين بألوان الدماء ، ومصادرها ، إلا أنّ دم الحسين (عليه السلام) أشدها حضورا ، وأكثرها تشذرا بالمعاني والدلالات والايحاءات ؛ ليتخذ منه الكاتب عنوانا لروايته ! ومن أهمها ما رآه الكاتب نفسه من ذلك الدم ، وهو يسيح على حواف مكتبه لمّا شرع بكتابة الرواية : " فجأة حضر التاريخ كله في حجرة مكتبي ، وجدت السيوف اللامعة ، والدم المراق ، ودفقات الجثث ، وصراخ الثكلى ، والأحصنة اللاهثة ، والحر القائظ ، وألسنة النار ، والحر القائظ ، وألسنة النار ، وألوان الخيانة ، وعتمة الغدر ، ودهاليز السياسة ... وأندفع الدم ساخنا وسخيا على أقلامي وأوراقي وكتبي .. حتى ظننت أنها النهاية . ثم إنّني رأيت الحسين" .(عيسى ، 2013 : 7) .

إلا إنّ هذا التناص مع الدم الطهور واتخاذه عنوانا للنص الروائي ، لا يكاد يروي ظمأ المتلقي والباحث معا ، ويبدو أنّ وراء (دم الحسين) إذ يتخذه الكاتب عنوانا بعدا آخر ، افصحت عنه الرواية في تضاعيفها ! ، ومن ثم فـ(دم الحسين) ﷺ ، في عنوان الرواية ، فضلا عن كونه يمثل الدم الطهور ببعده المادي ، إلا أنه يمتد إلى

أبعاد أخرى من لحظة سقوط أول قطرة ، وحتى يوم الناس هذا ، وكان النص كفيلا ببيان ما اكتنز به العنوان من تلك الأبعاد .

إنّ دم الحسين (عليه السلام) أعظم رمز إلهي لا يضاهيه رمز على مدى التاريخ ، وهو أعظم آيات الله الكونية رافقت شهادة السبط العظيم ، تشهد بذلك الشواهد والآثار ، ومن أبرز تلك الآيات إدماء الكون حدادا عليه. (الموسوي ، 2018 ، ج 4 : 15) حتى صار دم الحسين (عليه السلام) وحمرته شعارا ، ورمزا إلهيا أكبر ، وسنة تشريعية عظيمة للشهادة والفداء في الهوية والنهج الحسيني. (الموسوي ، 2018 ، ج4 : 19 – 20) .

إنّ توظيف الكاتب دم الحسين لا لتصوير الحدث التاريخي العظيم بإراقة دم الحسين الطهور على رمضاء كربلاء فحسب ، بل لتوظيف الدلالة على ثلة من القيم والمبادئ والأخلاق والسلوكيات ، وفي الدلالة على قضايا العصر ...

ومن ثم ، فـ(دم الحسين) ﷺ يعني : " المقاومة حتى آخر قطرة دم " . (عيسى ، 2013 : 60).

و(دم الحسين) ﷺ يعني : " إن دماءه المراقة ستتحول إلى فيروس النهاية في جسد هذه الدولة ، وإن مقتله سيمثل طعنة في الغلاف الجوي الذي يحيط رئة الظالمين ، ونظريات السلطة التي يقفون عندها وعليها ! ". (عيسى ، 2013 : 61) .

و(دم الحسين) ﷺ يعني : " ورقة إثبات مختومة بالدم على تلوث العصر وعظمة المقاومة والارتكاز على الضمير الحي ضد الضمير المشترى ، والاعتماد على قوة القلب ضد رخاوة العقل المحكوم بالواقع والضغوط والاقتصاد والمال والسيف والسلطان ". (عيسى ، 2013 : 61).

و(دم الحسين) ﷺ يعني الحد الفاصل بين زمنين فـ: " أبناء كربلاء الذين عاشوا الحد الفاصل بين رمل الصحراء قبل عناق طهر دماء الحسين .. وبعدها ربما صاروا يؤرخون أيضا لاختلاف القمرين في المرحلتين ! ". (عيسى ، 2013 : 71).

لم يكتف الكاتب بتوظيف دم الحسين (عليه السلام) بوصفه دالا على المُثل الإنسانية العليا ، والقيم السماوية ، بل للدلالة على الخيانة ، وانعدام القيم الأخلاقية ، أو المتاجرة بدمه (عليه السلام) من وجهة نظره هو ، وقراءته للأحداث والوقائع التاريخية ؛ فـ(دم الحسين) ﷺ يعني ذلك الستار الذي يلجأ إليه البعض لتحقيق مآربهم ، ونواياهم ؛ ولذا فـ(الروائي – السارد) ، يرى أنّ (المختار) (رحمه الله) : " انتصر ... لدم الحسين .. لكنه لم ينتصر لقيمه وشهادته وعدالته ومبادئه ... قتل المختار قتلة الحسين .. نعم . لكنه لم يثأر له

..! ". (عيسى ، 2013 : 181) ، وليس للباحث أن يغض النظر عما أبداه الروائي من التوظيف الأخير لشخصية المختار ؛ فقد تعرّض الثائر الثّقفيّ شأنه شأن الثوار إلى التشويه من لدن أعداء أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، والتشكيك بنواياه ، وثورته ، وكان حريا بالكاتب أن يكلف نفسه عناء البحث كثيرا عن هذه الشخصية ، من مظانها المختلفة الموافق له والمخالف .

يتنامى الرمز عند الروائي عبر توظيف دم الحسين (عليه السلام) وعبر رموزه الشخصية والشيئية ، ليعبر به الكاتب عن ديمومة المأساة ، وديمومة الصراع ، صراع المظلوم في مواجهة الظالمين ، وقهر السلاطين ؛ فينظر إلى (دم الحسين) النازف على الأسفلت بوصفه رمزا لدم الأحرار النازف في واقعنا المعاصر .

" واهتف ...

يا حسين !

وحيداً في الشارع مقتولا مذبوحا غارقا في دمه السابح على الأسفلت" (عيسى ، 2013 : 49)

فدم الحسين لمّا يزل نازفا في بقاع شتى من العالم ، حيثما تكن روح الحسين ، ونهجه ، وحيثما تكن كربلاء ماثلة في ضمائر الأحرار !.

الخاتمة ...

وجد الروائي في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) المعين الذي يستقي منه قيم البطولة والتضحية والإباء وكل تجليات الجلال والجمال ، ووجد في استدعاء هذا الرمز وسيلة ناجعة في التعبير عن تجربة الروائي الذاتية ، وما يعج به واقعه من مظالم وفواجع .

لقد اتيح للكاتب التنقل بين عوالم زمنية مختلفة ما بين الماضي والحاضر ، ما بين الموضوعي الذي يتمثل بفاجعة الحسين (عليه السلام) وواقعة الطف الأليمة ، والذاتي المتمثل بشعور الكاتب ورؤيته وتقويمه لواقعه المعاصر ولما يحيط به ، ولقد تجلت براعة الروائي في الجمع ما بين تلك العوالم ، وتلك الرؤية (الموضوعية والذاتية) حتى ليشعر المتلقي معها أنه يقف أمام (لوحة سردية) واحدة تعج بدم الحسين المسفوح عبر التاريخ القديم والحديث .

مراجع البحث ...

- أفاية ، محمد نور الدين ، المتخيل والتواصل ، مفارقات العرب والغرب ، دار المنتخب ، م1 ، بيروت ، 1993 م .

- خمري ، حسين ، فضاء المتخيل ، مقاربات في الرواية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2002م .

- زايد ، علي عشري ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، الشركة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ط1 ، 1978 .

- شلبي ، عبد العاطي ، فنون الأدب الحديث ، سويتر الاسكندرية ، 2005 م .

- عيسى ، إبراهيم ، دم الحسين القصة الكاملة لقتل الحسين والانتقام من القتلة ، دار بلموزبري – مؤسسة قطر للنشر ، ط 7 ، 2013 .

- عيد ، رجاء ، لغة الشعر ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، القاهرة ، 1985 .

- لؤلؤة ،عبد الواحد ، موسوعة المصطلح النقدي ، مج3 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1983 .

- لويس ، سي . دي ، الصورة الشعرية ، ترجمة : أحمد نصيف الجنابي ، مالك ميري ، سلمان إبراهيم ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد ، بغداد 1982 م .

- الموسوي ، رياض ، رمزية الدم في الشعائر الحسينية ، تقريرا لأبحاث المحقق الفقيه آية الله الشيخ محمد السند ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، ط1 ، 2018 م .

- اليسوعي ، ج. روبرت بارت ، الخيال الرمزي ، كولريدج والتقليد الرومانسي ، ترجمة د . عيسى علي العاكوب ، د . خليفة الغرابي ، معهد الإنماء العربي ، ط1 ، 1993 م .

الرسائل الجامعية :

- حفصة ، صديقي ، الواقع والمتخيل في رواية رمل الماية لواسيني الأعرج دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة عبد الرحمن ميرة ، 2014 – 2015 م .

- سارة ، غشام ، جدلية الواقع والمتخيل في رواية شاهد العتمة لبشير مفتي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، جامعة محمد خيضر ، سكرة ، 2015 – 2016 م.

الدوريات :

- أبو علي ، نبيل ، الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد الخامس ، 1999 .
- الزيات ، د. تيسير محمد ، استدعاء شخصية الحسين بن علي في الشعر العربي الحديث ، مجلة كلية أصول الدين بجامعة نجم الدين أربكان ، ع 33 ، 2012 .

Research references...

- Avaya, Muhammad Noureddine, The Imaginary and Communicating, The Paradoxes of Arabs and the West, Dar Al-Muntakhab, Part 1, Beirut, 1993.
- Khamri, Hussein, The Imaginary Space, Approaches to the Novel, Al-Ikhtif Publications, Algeria, 2002.

- Zayed, Ali Ashry, Summoning Heritage Figures in Contemporary Arabic Poetry, The General Company for Publishing and Distribution, Tripoli, 1st Edition, 1978.

- Shalabi, Abdel-Ati, The Arts of Modern Literature, Sweater Alexandria, 2005.

- Issa, Ibrahim, the blood of Al-Hussein, the complete story of the killing of Al-Hussein and revenge on the killers, Dar Belmosbury - Qatar Foundation for Publishing, 7th edition, 2013.

- Eid, Rajaa, The Language of Poetry, Mansha'at al-Ma'arif, Alexandria, Cairo, 1985.

- Pearl, Abdel Wahed, Encyclopedia of Critical Term, Volume 3, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1983.

- Lewis, C. D, the poetic image, translated by: Ahmed Nassif Al-Janabi, Malik Miri, Salman Ibrahim, publications of the Ministry of Culture and Information, Dar Al-Rasheed, Baghdad 1982 AD.

- Al-Musawi, Riyad, the symbolism of blood in the Husayni rituals, a report on the research of the jurist, Ayatollah Sheikh Muhammad Al-Sanad, Al-Sadiq Foundation for Printing and Publishing, 1st edition, 2018 AD.
- Jesuit, c. Robert Barthes, The Symbolist Imagination, Coleridge and the Romantic Tradition, translated by D. Issa Ali Al-Akoub, d. Khalifa Al-Gharabi, Arab Development Institute, 1st Edition, 1993 AD.
University theses:
- Hafsa, Siddiqui, Reality and Imaginary in the Novel of Sand of Water by Wasini Al-Araj, An Analytical Study, Master Thesis, Ministry of Higher Education and Scientific Research, Abd al-Rahman Mirah University, 2014-2015.
- Sarah, Ghasham, The dialectic of reality and the imagined in the novel “Shahid al-Atma” by Bashir Mufti, MA thesis, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language, University of Muhammad Kheidar, Soukra, 2015-2016 AD.
Periodicals:
- Abu Ali, Nabil, The Difference Between Legend, Myth and History, Journal of the Faculty of Arts, Helwan University, Fifth Issue, 1999.
- El-Zayyat, Dr. Tayseer Muhammad, Invoking the Personality of Al-Hussein Bin Ali in Modern Arabic Poetry, Journal of the Faculty of Fundamentals of Religion at Necmettin Erbakan University, p. 33, 2012.